WELT DER KUNST - ISMAIL SCHAMMUT

اسماعيل شموط ، عالم الفنون

(دار هنشل للنشر — برلين — جمهورية المانيا الديمقراطية)

في حوالي الخمسين صفحة ، صدر في المانيا الشرقية في عام ١٩٧٥ المنصرم كتاب عن الفنان الفلسطيني اسماعيل شموط ، باللغة الالمانية ، ومن المفروض ان تصدر ترجمة له باللغة العربية في شهر ايار (مايو) الحالي، وترجمة اخرى باللغة الانجليزية ، في اواخر عام ١٩٧٦ الحالي .

والكتاب حلقة في سلسلة كتب بعنوان «عالم الفنون » ، صدر منها حتى الآن مئات الكتب تعرف بفناني هذا العصر ، غير ان هذا الكتاب هو اول معالجة ضمن هذه السلسلة لفنان من خارج اوروبا .

مؤلفة الكتاب الدكتورة كارين روردانتز ، وهي استاذة فنون الشرق ، بجامعة هاليه في المانيا الديمقراطية . ويضم الكتاب نصا تحليليا عن فن اسماعيل شموط وارتباطه بالقضية الفلسطينية (١٢ صفحة) مع سيرة الفنان ، ثم سبع عشرة لوحة مع شرح عن كل واحدة (١٢ بالالوان و ٥ ابيض واسود).

في النص الذي تصدى لتحليل فن اسماعيل شموط وتعريف القارىء الاوروبي به ، يبدو احيانا وكأن النص عرض لمعلومات اساسية واولية عن القضية الفلسطينية اكثر مما هو تحليل لفن اسماعيل شموط ، وهذا ينطبق احيانا بصورة كاملة على بعض فقرات النص، ولعل هذا التداخل يرضي الفنان اكثر مما يضيره ، فتداخل فن اسماعيل شموط بالقضية الفلسطينية سواء في ودائعه الاولية ، او في تطوره ونموه ، كان عملية مستمرة بوعي وبلا وعي ، لم يستطع الفنان التمرد على استمراريتها حتى عندما جرب ذلك ، كما يشير الكتاب عندما يتحدث عن لوحات الناظر الطبيعية ، القليلة اصلا في انتاج اسماعيل شموط .

اهم ما في النص السياسي الفني للكتاب ، انه يقدم للقارىء الاوروبي معلومات اساسية عن القضية الفلسطينية في مراحلها الاولية ، التي غالبا ما تعتم عليها اجهزة الاعلام الاوروبية ، او لا تعني بها كثيرا حتى في الدول الصديقة ، وهي فترة النصف الاول من القرن العشرين .

ومع الاختصار الشديد لهذه المعلومات (بضع صفحات وبضعة سطور) فانها تنبه القارىء الى ان مشروع انشاء دولة اسرائيل عملية غزو استيطاني استعماري تم بمساعدة بريطانيا ، كما ان النص هو من النصوص القليلة في اوروبا الشرقية (على تواضعه) التي لا تتحدث عن قرار التقسيم « كحل ديمقراطي » للمشكلة ، بل كحلقة من مشروع المؤامرة .

هذا عن القيمة السياسية للنص ، اما في الناحية الفنية فان الكاتبة ركزت على ما يبدو على موضوع فن اسماعيل شموط اكثر من تركيزها على الاسلوب ، ويبدو ذلك عن قصد وتعمد ، ومع ان الكاتبة تتحدث عن تأثر شموط ببعض فناني عصر النهضة (خاصة بوتشلي) ثم برامبرانت وغويا وفان كوخ ، فانها تلاحظ انه في الوقت الذي كان فيه معظم الفنانين العرب يغرقون في التأثر الكامل باساليب الفن الاوروبي المعاصر ، كان اسماعيل شموط ، بوعي احيانا وبلا وعي في معظم الاحيان ، لا يهتم باختيار وتحديد اسلوبه الا بقدر ما كان ذلك الاختيار يخدم همه الاول ، اي التعبير عن آلام شعبه .

وتعطي الكاتبة اهمية خاصة لمعرض شموط الاول في غزة عام ١٩٥٣ ، فنرى ان الفنان قد اكتشف في ذلك المعرض الدور التحريضي للفن، ثم قدرة الفن على ان يكون تعبيرا صادقا عن احاسيس الناس ، خارج اطار المثقفين